ألف حكاية وحكاية ٧٤

يعقوب الشارونى

صراع فوق الرف

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

رسوم

عادل البطراوى

ألف حكاية وحكاية (٧٤)

صراع فوق الرف

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشارونى



رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

صراع فوق الرف ! !

علىٰ رفٍّ فى بيتِ الصغيرَيْنِ رشا ورشاد ، التفتَ كتابُ المطالعةِ المدرسِيُّ إلى يمينِهِ ، فوجدَ كتابًا قصصِيًّا كلُّهُ رسومٌ مُلوَّنةٌ ، مطبوعًا بحروفٍ جميلةٍ كبيرةٍ .

اهتزَّ الكتابُ المدرسِيُّ فى قلقٍ ، ولامسَ غِلافَ الكتابِ القصصِيِّ ، وقالَ له : " هذا الرفُّ كانَ مُخصَّصًا لى وحدى ، فما الذى جاءَ بكَ إلى هنا ؟! "

قالَ الكتابُ القصصِيُّ : " رشا ورشاد يُحِبَّانِ قصصى ورسومى . "

قالَ الكتابُ المدرسِيُّ : " لكننى أنا الذى أُعلِّمُهم إجادةَ اللغةِ العربيةِ ، والكلماتِ الجديدةَ ، ويتدرَّبونَ معى على أساليبِ التعبيرِ الرشيقةِ البليغةِ . "



تَمايَلَ الكتابُ القصصِىُّ فى رشاقةٍ ، فظهرَتْ صفحاتُهُ المُلوَّنةُ ، وقالَ : " لكننى أنا الذى أُثيرُ خيالَ الأطفالِ ، وأُشجِّعُهم على مزيدٍ من القراءةِ ، بما أحتويه من جاذبيةٍ وتشويقٍ . ولا يحتاجونَ معى إلى مُدرِّسٍ يشرحُ الكلماتِ الصعبةَ أو العباراتِ غيرَ المفهومةِ . "

هنا أحسَّ الكتابُ المدرسِىُّ بالضيقِ ، وقالَ : " قد يُحبُّكَ الأطفالُ ، لكنهم يحترمونَنى أنا ، فمن غيرِ معاونتى لهم ، لن يجيدوا قراءةَ ما تقدِّمُهُ أنت وأصحابُكَ من قصصٍ وشعرٍ ومسرحٍ ومعلوماتٍ .

وأدركَ الكتابُ القصصِىُّ سخافةَ هذا التفاخرِ بينَهُ وبينَ الكتابِ المدرسِىِّ ، فقالَ فى رحابةِ صدرٍ :

" الصحيحُ أنه لا يُمكِنُ أن يستغنِىَ أحدُنا عن صاحبِهِ ، لكى يستخدمَ الأطفالُ ما تعلَّموهُ معَكَ ، فى فهمِ ما أقدِّمُهُ أنا لهم . "



الفراشة التى لم أمسك أنا بها

كنْتُ سعيدًا بمراقبةِ الفراشةِ الصغيرةِ ، تقفزُ بين قدَمَىَّ ، وتلفُّ وتدورُ حولَ ساقى .

قلْتُ لنفسى : " عندما كنْتُ أصغرَ سنًّا ، كنْتُ أستمتعُ بمطاردةِ مثلِ هذه الفراشةِ وإمساكِها . أمَّا الآنَ ، فإنَّ تسليتى أن أراقبَها حرةً طليقةً . "



لكنَّ تحرُكاتِ الفراشةِ أثارَتِ اهتمامى ، فقد كانَتْ تلك هى المرةَ الأولى التى أجدُ فيها فراشةً تقترب منِّى مثلَ هذا الاقترابِ ، وتلفُّ وتدورُ حولَ ساقى ولا تخافُ ، وكأنها تدورُ حولَ جذعِ شجرةٍ لن يُؤذِيَها .

وفى النهايـةِ ، استقرَّت الفراشةُ على طرفِ إبهامِ قدمى اليسرى . وهنا لاحظْتُ لونَها الـوردِىَّ الباهتَ القريبَ مـن لـونِ ظفرى ، فكـادَتْ تكـونُ غيرَ مرئِيَّـةٍ عندمـا ضمَّتْ جناحَيْها ووقفَتْ ساكنةً فوقَ الظفرِ .

وحرَّكتُ قدمى الأخرى ، وقد ظننْتُ أن تلك الحركةَ ستُخيفُ الفراشةَ ، لكنها ظلَّـتْ ساكنةً فـى مكانِهـا لا تُبـدِى أيـةَ حركةٍ ، كأنَّها قطعةٌ زائدةٌ من الظفرِ .

وفجـأةً اندفعَـتْ مـن تحـتِ المقعـدِ الـذى أجلسُ فوقَـهُ علـى حافـةِ حمَّـامِ السباحةِ ، سحليةٌ صغيرةٌ رماديةُ اللونِ ، لا يكـادُ لونُهـا يظهـرُ مـن لـونِ الأرضِ الإسمنتيةِ.



وفوجئتُ بالسحليةِ تنطلقُ كالسهمِ ، وتنقضُّ بسـرعةِ الصـاروخِ على طرفِ إبهامى ، فوجدْتُ الفراشةَ تُرفرِفُ فى يأسٍ ، وقـد أمسكَتْ بها الأسنانُ الدقيقةُ للسحليةِ ، التى رفعَتْ رأسَها عاليًا بفريستِها ، كأنها تُعلِنُ عن انتصارِها على الفراشةِ ، التى حاولَتْ بكلِّ ما لديها من وسائلَ ، أن تنجُوَ من هذا المصيرِ .

حدائق بابل المعلقة فى ألمانيا

من أجملِ ما يشدُّ الانتباهَ فى ألمانيا ، ما يمكنُ أن نُطلِقَ عليه اسمَ " حدائق بابل المعلقة ". فعندما تسيرُ هناكَ فى الشوارعِ ، تجدُ الزهورَ تتدلَّى بكثرةٍ بألوانِها المختلفةِ من كلِّ نافذةٍ وشرفةٍ ، ومن فوقِ حافةِ كلِّ سطحٍ ، فترى الحدائقَ تُحيطُ بك مُرتفعةً بشكلٍ رأسِيٍّ على الجدرانِ ، كأنك تسيرُ بين حديقتَيْنِ مُعلَّقتَيْنِ على جانبَيْكِ .



ولن أنسى ذلك اليومَ ، الذى كنتُ أسيرُ فيَه فى ميدانٍ واسعٍ بمدينةِ "بون" عاصمةِ ألمانيا ، فوجدْتُ طابورًا من النساءِ والرجالِ ، بل و الأطفالِ ، يترقَّبونَ دورَهم .

ودفعَنى الفضولُ أن أبحثَ عن بدايةِ هذا الطابورِ، فوجدْتُهُ بائعَ وردٍ قد ملأ الميدانَ بأوعيةِ الزهورِ، والناسُ تشترى باقةً بها ستُّ زهراتٍ، يدفعون فيها عشرةَ ماركاتٍ، أى حوالى أربعةٍ وعشرينَ جنيهًا مصريًا. وكانَ هذا التزاحمُ لأن الرجلَ خفضَ ثمنَ الباقةِ من ١٢ ماركًا (حوالى ٣٠ جنيهًا مصريًا) إلى ١٠ ماركاتٍ.

وفى كلِّ شارعٍ رئيسِىٍّ، وفى كلِّ سوقٍ من أسواقِ ألمانيا، لابدَّ أن تجدَ محلاًّ لبيعِ الوردِ، أو بائعًا قد افترشَ مساحةً كبيرةً يبيعُ فيها الزهورَ.

إنهم يعتبرونَ الزهرةَ من أجملِ ما خلقَ اللهُ، ليتمتَّعَ الإنسانُ بلونِها وجمالِ عطرِها.



نصيحة من طراز قديم

اكتشفَ الأبُ أن ابنَهُ قد وقعَ تحتَ تأثيرِ زميلٍ سيئ ، وكانَتْ أسرةُ ذلك الزميلِ تملكُ ثروةً هائلةً ، تُنفِقُها فيما يضرُّ ولا ينفعُ ، لأنها كانَتْ جاهلةً تنقصُها الثقافةُ .

ونصحَ الأبُ ابنَهُ كثيرًا بالابتعادِ عن ذلك الزميلِ ، لكنَّ الابنَ كانَ ينظرُ إلى نصائحِ الأبِ كما ينظرُ إلى أشياءَ من طرازٍ قديمٍ ، لم تعدْ تنفعُ أو تُفيدُ .



وأخيرًا دبَّـرَ الأبُ خطـةً ،
لكـى يصرفَ ابنَـهُ عـن صداقـةِ
ذلك الزميـلِ ، فكفَّ تمامًا عن
ترديدِ النصائحِ ، وأخفَى عـدمَ
رضاهُ عن تلك الصداقةِ ، وانتهزَ
مناسبةَ الاحتفـالِ بعيـدِ ميـلادِ
ابنِهِ ، وأقـامَ حفلَ عشاءٍ كبيرًا ،
دعا إليه ذلك الزميلَ ، مـع بقيةِ
أصدقـاءِ الابـنِ ، مـن ذوى
الخلـقِ المتـينِ ، والسـلوكِ
السليمِ ، والثقافةِ والمعرفةِ .



وحدثَ ما كانَ الأبُ يتوقَّعُ ، فقد ارتكبَ الزميلُ السيِّئ أمامَ بقيةِ أصدقاءِ الابنِ ، حماقاتٍ كبيرةً ، دفعهُ إليها غرورُهُ وتفاخرُهُ بثروةِ أسرتِهِ .. وانطلقَ يُشجِّعُ بقيَّةَ المدعُوِّينَ على ارتكابِ كثيرٍ من التصرفاتِ الخاطئةِ المُنفِّرةِ ، مما جعلَهُ مِحْوَرَ انتقادِ وسخريةِ بقيةِ الأصدقاءِ ، وبذلك أثارَ خجلَ الابنِ من صداقتِهِ لذلك الزميلِ !

ونجحَتْ خطةُ الأبِ ، فقد وجدَ الابنُ أن رَأْيَ أصدقائِهِ ، الذين فى مثلِ سنِّهِ ، يماثلُ تمامًا رَأْيَ والدِهِ ، واكتشفَ أن نصائحَ والدِهِ ليسَتْ كلُّها من طرازٍ قديمٍ .

ورغمَ أنه لم يستطعْ قطعَ علاقتِهِ بذلك الزميلِ الفاسدِ فورًا ، فإن كلماتِ الأصدقاءِ فعلَتْ فعلَها ، حتى أصبحَتْ علاقتُهُ بذلك الزميلِ ضعيفةً ، لا خوفَ منها ولا ضررَ .



ورقة الجنيهات الخمسة

ذاتَ يومٍ ، قابلَتْ ورقةُ نقدٍ من ذاتِ الخمسةِ جنيهاتٍ قطعةً معدنيةً قيمتُها عشرةُ قروشٍ ، فقالَتِ الجنيهاتُ لقطعةِ المعدنِ فى تفاخُرٍ وتباهٍ :

" أنا أعظم منكِ ، فما أنتِ إلا قطعةٌ معدنيةٌ ليسَتْ لها قيمةٌ . "

قالَتِ القروشُ العشرةُ : " إنَّنى لم أتفاخرْ بنفسى ، ولم أقلْ إنِّى أعظمُ منكِ . "

فازدادَتِ الجنيهاتُ غرورًا ، وقالَتْ : " ابتعدى عنِّى أيتُها الصغيرةُ الضعيفةُ ، فأنا عزيزةٌ عند الناسِ ، فلا ينفقونَنى إلا فى شراءِ أشياءَ مهمةٍ وكثيرةٍ . أما أنتِ فلا يستخدمونَكِ إلا لشراءِ أشياءَ رخيصةٍ تافهةٍ . "



وفجأةً هبَّتْ عاصفةٌ شديدةٌ ، فطارَتِ الجنيهاتُ الخمسةُ فى الهواءِ ، وتقلَّبَتْ هنا وهناك .. وأخيرًا وقعَتْ فى مجرى النهرِ الواسعِ ، واختفَتْ مع مياهِهِ !!

ليست نهاية الدنيا

حكَتْ خبيرةُ أدبِ الأطفالِ ، التى تشغلُ منصبًا مرموقًا فى إحدى دورِ النشرِ الكبرى ، قالَتْ :

" فى عامِ ١٩٥١ ، كنْتُ بالسنةِ الأولى بكليةِ الآدابِ ، قسمِ اللغةِ الإنجليزيةِ . وقبلَ نهايةِ العامِ بيومَيْنِ ، تُوفِّيَ والدى ، وكانَتِ الصدمةُ بالغةَ القسوةِ .

وذهبْتُ لأداءِ أولِ الامتحاناتِ فى مادةِ الجغرافيا ، وأنا لم أفتحْ كتابًا .

وتسلَّمْتُ ورقةَ الأسئلةِ ، فوضَعْتُها أمامى ، أحاولُ أن أقرأَها .

وفجأةً وجدْتُ بجوارى أحدَ أساتذتى العظماءِ ، يسألُنى ، أنا الطالبةَ الصغيرةَ ، فى أبُوَّةٍ صادقةٍ : " ما لَكِ يا ابنتى ؟ "



فانهمرَتْ دموعـى ، وقـالَتْ زميلـةٌ تجلسُ بجـوارى : " تُوفِّـىَ والدُها أولَ أمسِ . "

قالَ أستاذى بصوتِهِ المُطمئِنِ العميقِ : " ليسَ هذا نهايـةَ الدنيا يا ابنتى ... هيًّا .. اكتبى أىَّ شىءٍ . "

وظلَّ واقفًا بجوارى حتى بدأتُ أكتبُ .

وكلما تخـاذلْتُ ، يعـودُ ليشجِّعَنى علـى أن أواصلَ الكتابـةَ وهـو يقولُ : " أنا أعرفُ أنكِ من أفضلِ طالباتِ الدفعةِ .. لا تُضيِّعى مجهودَ عامٍ كاملٍ تحتَ تأثـيرِ صدمةٍ عارضةٍ . الحـزنُ مرضٌ لابـدَّ أن نعالجَـهُ ونتغلَّبَ عليه . المُهِمُّ أن تبدئـى ، وبعـدَ ذلـك سـيكونُ كـلُّ شـىءٍ سهلاً . "

وكم أعادَتْ هذه الكلماتُ الثقةَ إلى نفسى القلقةِ .



وانطلقْتُ أُكمِلُ الإجابـةَ ، وعدْتُ إلى البيتِ وكلِّى تصميمٌ علـى النجـاحِ ! وأدَّيـتُ بقيـةَ الامتحانـاتِ وكلمـاتُ أسـتاذى الكبيرِ تتردَّدُ فى أذنى .

وظهرَتْ نتيجةُ الامتحـانِ ، وكنْتُ مـن الناجحـاتِ بتقديـرِ امتيازٍ !

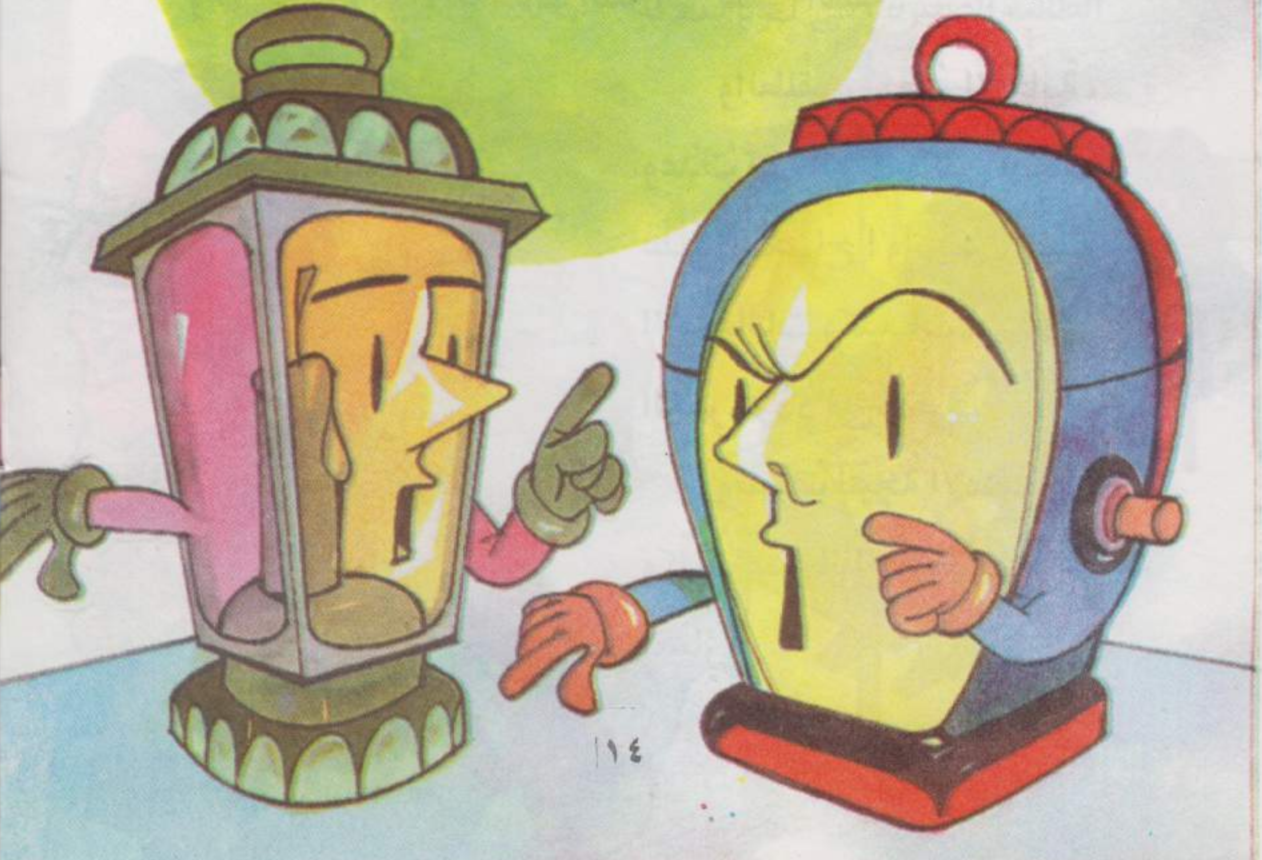
الشمعة والفانوس

اشترى الأبُ لابنتِهِ سهام ، فانوسًا ملونًا ، به مصباحٌ كهربائِىٌّ صغيرٌ ، يعملُ بحجرٍ بطاريةٍ . فرحَتْ سهام بالفانوسِ ، ووضَعَتْهُ فى حجرتِها بجانبِ فانوسٍ زجاجُهُ شفَّافٌ ، أحضرَهُ لها والدُها فى رمضان من العامِ الماضى .

وبسخريةٍ قالَ الفانوسُ الملونُ للفانوسِ الشفافِ : " ماذا تفعلُ هنا ؟! ليسَ لكَ فائدةٌ الآنَ ! "

ابتسمَ الفانوسُ الشفافُ ، وقالَ : " اعتبِرْنى الأخَ الأصغرَ لكَ !! "

نظرَ إليه الفانوسُ الملونُ فى دهشةٍ ، وقالَ : " إنك أكبرُ منِّى بسنةٍ ! لقد أصبحْتَ الآنَ عجوزًا !! "



قالَ الفانوسُ الشفافُ : " يُمكِنُ أن يستفيدَ الشبابُ من خبرةِ الشيوخِ !! "

قالَ الملونُ فى غرورٍ : " أنا أعملُ بالكهرباءِ ، أما أنتَ فتعملُ بالشمعِ .. الكهرباءُ هى المستقبلُ . "

فى تلك اللحظةِ لاحظَ الفانوسُ الشفافُ أن ضوءَ مصباحِ الفانوسِ الملونِ يضعفُ ، وشيئًا فشيئًا انطفأ .

وعندما دخلَتْ سهام مع صديقاتِها لتأخذَ فانوسَها الجديدَ ، وجدَتْهُ لا يُضيءُ فبدأتْ دموعُها تنهمرُ .

لكنَّها سمعَتِ الفانوسَ الشفافَ يقولُ : " أنا صديقُكِ القديمُ يا سهامُ . لماذا لا تتذكَّرينني ؟! "



هنا جَفَّفَتْ سهام دموعَها ، وأحضرَتْ عودَ كبريتٍ ، أضاءَتْ به شمعةَ الفانوسِ . وبعدَ قليلٍ ، كانَتْ تحملُهُ سعيدةً به مع صديقاتِها .

أما الفانوسُ الملونُ ، فقد بَقِيَ في مكانِهِ ، بمصباحِهِ المُعْتمِ المُنطفئِ ، يستمعُ إلى أغاني الأطفالِ المرحةِ ، وهم يردِّدونَ في سعادةٍ : " وحوي يا وحوي . "



ألف حكاية وحكاية

تأليف

الأستاذ يعقوب الشارونى



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه